بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مَوسُوعةُ البَراهِينِ والمُعجِزات

دلائلُ نبوّةِ محمّدٍ ﷺ وصِدقِ القُرآنِ الكريم

مُعجِزاتٌ عِلميّة · شواهدُ تاريخيّةٌ وأثَريّة · نُبوءاتٌ تَحقَّقَت

بِشاراتُ التّوراةِ والإنجيل · عالَمُ الجِنِّ والسِّحرِ والغَيب

مَشروحةٌ شَرحاً يَفهَمُه الطِّفل · ١٥١ رَسماً مُلوَّناً

١٥١ بُرهاناً مُرتَّباً بقُوَّتِه

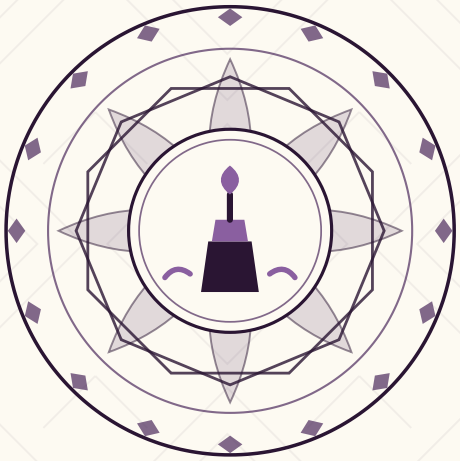

الباب الثّامن

عالَمُ الجنّ والسِّحرِ والغَيب

عالَمٌ حقيقيٌّ أخبرَنا اللّهُ عنه، وشهدَ به التّاريخُ في كلِّ أمّة، ووقائعُ ثابتةٌ حدثت للنّبيِّ ﷺ ولأصحابِه وللنّاسِ إلى يومِنا.

١٨ موضوعاً

١٢٢ نَفَرٌ مِنَ الجِنّ استَمَعوا القُرآن

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾

سورة الجِنّ – الآيتان ١-٢

الجِنُّ خَلْقٌ مُكَلَّفٌ: فيهم المُسلِمُ وفيهم الكافِر

بكلامٍ بسيط

الجِنُّ خَلْقٌ حَقيقيٌّ خَلَقَهم اللّهُ من نار، لا نَراهم وهم يَرَوننا. وفي القرآنِ **سورةٌ كامِلةٌ باسمِهم** تَحكي أنّ جَماعةً منهم سَمِعوا القرآنَ فآمَنوا به.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان العَرَبُ يَعرِفونَ الجِنَّ ويُعَظِّمونَهم، بل كان منهم من **يَستَعيذُ بهم** ويَعبُدُهم ويَطلُبُ منهم الحِمايةَ في الأسفار – وهو ما ذَكَرَته السّورةُ نَفسُها: «وأنّه كان رِجالٌ من الإنسِ يَعوذونَ برِجالٍ من الجِنِّ فزادوهم رَهَقا». وكانوا يَنسِبونَ إليهم عِلمَ الغَيبِ ويَأخُذونَ عنهم الكِهانة.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الإسلامُ **لم يُنكِر وُجودَهم ولم يُبالِغ فيه** – بل ضَبَطَه ضَبطاً دَقيقاً: أثبَتَ وُجودَهم خَلْقاً مُكَلَّفاً فيه الصّالِحُ والطّالِح، ونَفى عنهم عِلمَ الغَيبِ نَفياً قاطِعاً («وأنّا ظَنَنّا أن لن تَقولَ الإنسُ والجِنُّ على اللّهِ كَذِباً»، و«وأنّا لا نَدري أشَرٌّ أُريدَ بمَن في الأرض»)، و**حَرَّمَ الاستِعاذةَ بهم** وجَعَلَها شِركاً، وحَرَّمَ إتيانَ الكُهّانِ والعَرّافين. فأبقى الحَقيقةَ وأزالَ الخُرافةَ والعُبوديّةَ معاً.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

هذا مَوقِفٌ **مُتَوازِنٌ بصورةٍ لا تُشبِهُ ما حَولَه**. فالدِّياناتُ والثَّقافاتُ إمّا تُضَخِّمُ عالَمَ الأرواحِ فتَجعَلَه مَصدَرَ عِلمٍ وقُوّةٍ تُعبَدُ وتُستَرضى، وإمّا تُنكِرُه إنكاراً تامّاً فتَجعَلَه خُرافة. والقرآنُ سَلَكَ طَريقاً ثالِثاً: **أثبَتَ الوُجودَ، وأبطَلَ العِبادة، ونَفى عِلمَ الغَيب**. ولو كان النَّصُّ من وَضعِ رَجُلٍ في تلك البيئةِ لكان أسهَلَ عليه أن يُوافِقَ ما تَعارَفوا عليه ويَستَثمِرَه في سُلطانِه – كما فَعَلَ الكُهّانُ قبلَه. لكنّه هَدَمَ تِجارةَ الكِهانةِ كلَّها، وهي من أربَحِ ما كان في الجَزيرة.

مِن مارِجٍ مِن نار

خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ

سورة الرَّحمن – الآيتان ١٤-١٥

مادَّتانِ مُختَلِفتانِ تَمامَ الاختِلاف – ولهذا لا يُرى أحَدُهما الآخَر

بكلامٍ بسيط

نحن مَخلوقونَ من **طِين**، والجِنُّ مَخلوقونَ من **نارٍ خالِصةٍ مُضطَرِبة** لا دُخانَ فيها. ولأنّ المادّةَ مُختَلِفة، لا تَستَطيعُ عَينُك أن تُدرِكَهم – وهم يَرَونَك.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كانت تَصَوُّراتُ النّاسِ عن الجِنِّ خَيالاً شَعبيّاً بلا ضابِط: أشباحٌ وأرواحٌ وصُوَرٌ مُخيفة. ولم يَكُن هناك تَحديدٌ لمادّةِ خَلقِهم ولا تَفسيرٌ لسَبَبِ عَدَمِ رُؤيَتِهم. وكلمةُ «مارِج» لفظةٌ عربيّةٌ دَقيقةٌ قَليلةُ الاستِعمال.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

«**المارِج**» في المَعاجِمِ العربيّة: اللَّهَبُ الصّافي المُختَلِطُ المُضطَرِبُ الذي لا دُخانَ فيه. وهذا وَصفٌ لصورةٍ خاصّةٍ من صُوَرِ الطّاقة، لا لِجِسمٍ مادّيٍّ كَثيف. والعِلمُ اليومَ يُقَرِّرُ أنّ **ما تَراه عَينُ الإنسانِ لا يَتَجاوَزُ جُزءاً ضَئيلاً جِدّاً** من الطَّيفِ الكَهرومِغناطيسيّ (نحو ٤٠٠-٧٠٠ نانومتر)، وأنّ نَحوَ ٩٥٪ من مادّةِ الكَونِ وطاقَتِه «مُظلِمة» لا تُرى ولا تُرصَدُ إلّا بأثَرِها. فوُجودُ عَوالِمَ لا تَقَعُ عليها حاسّتُنا ليس أمراً مُستَغرَباً على العَقلِ العِلميِّ اليوم.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

القرآنُ عَلَّلَ عَدَمَ الرُّؤيةِ تَعليلاً صَريحاً، وهو في غايةِ الدِّقّة: «**إنّه يَراكم هو وقَبيلُه من حَيثُ لا تَرَونَهم**». فالرُّؤيةُ في اتِّجاهٍ واحدٍ لا اتِّجاهَين – وهذا يَقتَضي اختِلافاً في **طَبيعةِ الإدراكِ ذاتِها**، لا مُجَرَّدَ اختِفاءٍ أو تَستُّر. ثمّ إنّ التَّفريقَ بين مادَّتَي الخَلقِ يُفَسِّرُ الفَرقَ في القُدرات: السُّرعةَ والنُّفوذَ وتَغَيُّرَ الهَيئة. وهو تَفسيرٌ **مُتَّسِقٌ داخِلِيّاً** من أوَّلِه إلى آخِرِه، لا صُوَراً مُتَفَرِّقةً كما في أساطيرِ الأُمَم.

١٢٤

سِحرٌ وَقَعَ على النَّبيِّ ﷺ نفسِه

سُحِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ ... فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ، وَهُوَ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ

رواه البُخاريُّ ومُسلِم – مُتَّفَقٌ عليه

بِئرُ ذَروانَ بالمدينة – المَوضِعُ الذي أُخرِجَ منه السِّحر

بكلامٍ بسيط

السِّحرُ شَيءٌ حَقيقيٌّ يُؤَثِّر، لا خَيالٌ ولا وَهْم. وأوضَحُ دَليلٍ على ذلك أنّه **وَقَعَ على النَّبيِّ ﷺ نفسِه**، فكان يُخَيَّلُ إليه أنّه فَعَلَ شيئاً ولم يَفعَله – حتّى أخبَرَه اللهُ بمَوضِعِه فأُخرِج.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان السِّحرُ صِناعةً مَعروفةً رائجةً في كلِّ حَضاراتِ المِنطَقة: بابِلَ ومِصرَ واليَمَنِ والجَزيرة. والسّاحِرُ صاحِبُ مَكانةٍ ومالٍ ونُفوذ. وقد كان من اليَسيرِ على النَّبيِّ ﷺ أن يُخفيَ ما أصابَه – فلا شَيءَ أضَرُّ بدَعوةِ رَجُلٍ من أن يُقالَ إنّ السِّحرَ نالَ منه.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الحَديثُ في **صحيحِ البُخاريِّ ومُسلِمٍ** من حَديثِ عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها، بتَفاصيلَ دَقيقة: اسمُ السّاحِر (لَبيدُ بنُ الأعصَم)، ومادّةُ السِّحرِ (مُشطٌ وشَعرٌ وقِشرُ طَلع)، ومَوضِعُه (بِئرُ ذَروان)، وصِفةُ أثَرِه، وكيفَ استُخرِج. وقد **أجمَعَ أهلُ السُّنّةِ على أنّ السِّحرَ له حَقيقةٌ وأثَر**، وأنّ أثَرَه لم يَمَسَّ الوَحيَ ولا التَّبليغَ – بل أُمورَه الدُّنيَويّةَ الخاصّةَ فقط. وهذا قَيدٌ مُهِمٌّ نَصَّ عليه العُلَماءُ لأنّ العِصمةَ في التَّبليغِ قائمة.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الدَّليلُ هنا من نَوعٍ نادِر: **خَبَرٌ يَضُرُّ ظاهِرُه بصاحِبِ الدَّعوةِ ومع ذلك نُقِلَ وحُفِظَ**. فالنَّبيُّ ﷺ لم يُخفِه، وأصحابُه لم يَكتُموه، والمُحَدِّثونَ لم يَحذِفوه – بل أثبَتَه أصَحُّ كِتابَينِ عند المُسلِمين. ومَن يَختَلِقُ ديناً لا يَروي عن نَفسِه أنّ سِحرَ يَهوديٍّ أثَّرَ فيه. وهذا ما يُسَمّى عند أهلِ النَّقدِ التّاريخيِّ «**مِعيارَ الإحراج**»: الرِّوايةُ التي تَضُرُّ راويها أقربُ إلى الصِّدقِ من التي تَنفَعُه. ثمّ إنّ الحادِثةَ أثمَرَت شيئاً باقِياً: **المُعَوِّذَتان**، وهما عِلاجٌ عَمَليٌّ لكلِّ مُسلِمٍ إلى اليوم.

المُعَوِّذَتان... حِصنُ كلِّ مُسلِم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ ... ۝ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝
وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ

سورة الفَلَق – الآيات ١-٥

سورتانِ نَزَلَتا في وِقايةِ الإنسانِ من شَرِّ السِّحرِ والحَسَد

بكلامٍ بسيط

حين وَقَعَ السِّحر، لم يُتْرَك النّاسُ بلا عِلاج. نَزَلَت سورتانِ قَصيرتان – **الفَلَقُ والنّاس** – فيهما الحِمايةُ من السِّحرِ والحَسَدِ ووَسوَسةِ الشَّيطان.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان النّاسُ إذا أصابَهم السِّحرُ لَجَؤوا إلى ساحِرٍ آخَرَ يَحُلُّه – أي يُعالِجونَ الشَّرَّ بشَرٍّ مِثلِه، فيَزدادونَ تَعَلُّقاً بالسَّحَرةِ ودَفعاً للمال. وهذه هي الدّائرةُ التي كانت تُدِرُّ على الكُهّانِ والسَّحَرةِ أرزاقَهم.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

النَّبيُّ ﷺ كان يَقرَأُ المُعَوِّذَتَينِ على نَفسِه ويَنفُثُ في كَفَّيه ويَمسَحُ بهما جَسَدَه كلَّ لَيلةٍ قبلَ النَّوم، ويَقرَؤُهما على المَرضى (البُخاريُّ ومُسلِم). وأمَرَ عُقبةَ بنَ عامِرٍ بِقِراءتِهما **دُبُرَ كلِّ صَلاة**، وقال له: «ما تَعَوَّذَ المُتَعَوِّذونَ بِمِثلِهِنّ». وفي الحَديثِ الصَّحيح: «مَن قَرَأَ آيةَ الكُرسيِّ حين يَأوي إلى فِراشِه لم يَزَل عليه من اللّهِ حافِظٌ ولا يَقرَبُه شَيطانٌ حتّى يُصبِح».

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

لاحِظ ما الذي صَنَعَه هذا العِلاجُ بالبِنيةِ الاجتِماعيّةِ كلِّها. لقد جَعَلَ الوِقايةَ من السِّحر **في يَدِ كلِّ إنسانٍ مُباشَرةً**: كَلِماتٌ قَصيرةٌ يَحفَظُها الطِّفل، بلا واسِطةٍ ولا أُجرةٍ ولا طُقوس. فأسقَطَ بذلك سُلطانَ السَّحَرةِ والكُهّانِ وتِجارَتَهم من أصلِها. وهذا أمرٌ لا يَفعَلُه مَن يَبتَغي السُّلطانَ على النّاسِ – بل يَفعَلُ ضِدَّه. وأدَقُّ ما في السّورة: «**النَّفّاثاتِ في العُقَد**» – وهي صِفةٌ لأشهَرِ صُوَرِ السِّحرِ عَمَليّاً: العَقدُ والنَّفثُ فيه. وهو ما وُجِدَ في سِحرِ لَبيدِ بنِ الأعصَمِ بعَينِه: إحدى عَشرةَ عُقدةً في وَتَر.

بابِلُ... وأقدَمُ ألواحِ السِّحرِ في التّاريخ

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ

سورة البقرة – الآية ١٠٢

رُقًى وتَعاويذُ مَكتوبةٌ قبلَ الميلادِ بأكثَرَ من ألف

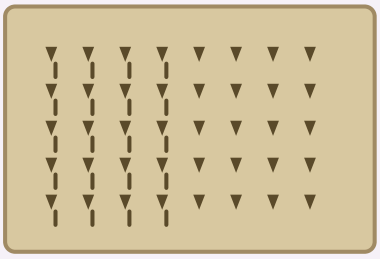

ألواحٌ طينيّةٌ مِسماريّةٌ من بابِل – مَحفوظةٌ في المَتاحِف

مَكتَباتٌ كامِلةٌ من نُصوصِ السِّحرِ خَرَجَت من أرضِ العِراق

بكلامٍ بسيط

القرآنُ رَبَطَ السِّحرَ بمَكانٍ مُحَدَّد: **بابِل**. وعُلَماءُ الآثارِ أخرَجوا من تلك الأرضِ بالذّاتِ **أضخَمَ مَجموعةٍ من نُصوصِ السِّحرِ في العالَمِ القَديم**.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

بابِلُ كانت أطلالاً مَندَثِرةً حين نَزَلَ القرآن، وقد خَرِبَت منذ قُرون. ولم يَكُن أحدٌ يَقرَأُ الكِتابةَ المِسماريّةَ – فقد ماتَت تَماماً. فنِسبةُ تَعليمِ السِّحرِ إلى **بابِلَ بعَينِها** دون غيرِها من حَواضِرِ الدُّنيا تَحديدٌ جُغرافيٌّ وتاريخيٌّ يَقبَلُ الاختِبار.

ماذا يقولُ العِلمُ اليوم؟

فُكَّت رُموزُ الكِتابةِ المِسماريّةِ في القَرنِ التّاسِعَ عشر. فظَهَرَ أنّ بِلادَ ما بينَ النَّهرَينِ – وبابِلُ قَلبُها – كانت **أعظَمَ مَركَزٍ للسِّحرِ والرُّقى والتَّعاويذِ في العالَمِ القَديم**. ومن أشهَرِ ما اكتُشِفَ سِلسِلةُ ألواحٍ **«مَقلو»** (Maqlû) وهي تِسعةُ ألواحٍ كامِلةٍ في السِّحرِ وإبطالِه، و«شُرپو» (Šurpu)، وآلافُ الألواحِ في التَّعاويذِ والتَّنجيمِ وقِراءةِ الطَّوالِع.

ومَكتَبةُ آشور بانيبال وحدَها ضَمَّت مِئاتٍ منها. ويُقِرُّ المُؤَرِّخونَ بأنّ بابِلَ كانت مَصدَرَ انتِشارِ هذه العُلومِ في المِنطَقةِ كلِّها.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

التَّحديدُ الجُغرافيُّ هو مَوضِعُ الحُجّة. لم يَقُل القرآنُ «تَعَلَّموا السِّحر» فقط – بل حَدَّدَ **المَوطِنَ الذي خَرَجَ منه**. وقد ظَهَرَ بعدَ اثنَي عشرَ قَرناً أنّ ذلك المَوطِنَ هو أغنى مَوقِعٍ أثَريٍّ بنُصوصِ السِّحرِ في الأرض. والأدَقُّ من ذلك **بَراءةُ سُلَيمانَ** عليه السّلام: «وما كَفَرَ سُلَيمان». فقد كانت الأساطيرُ المُتَداوَلةُ في المِنطَقةِ – وفي نُصوصٍ يَهوديّةٍ مُتَأخِّرة – تَنسِبُ السِّحرَ إلى سُلَيمانَ وتَجعَلُه سَيِّدَ السَّحَرة. فجاء القرآنُ **يُبَرِّئُ نَبيّاً ممّا نَسَبَه إليه أهلُ الكِتابِ أنفُسُهم** – وهذا عَكسُ ما يَفعَلُه النّاقِلُ عنهم.

١٢٧ سَحَرةُ فِرعَون... ومَشهَدُ الحَبلِ الذي يَسعى

قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ

سورة طه – الآية ٦٦

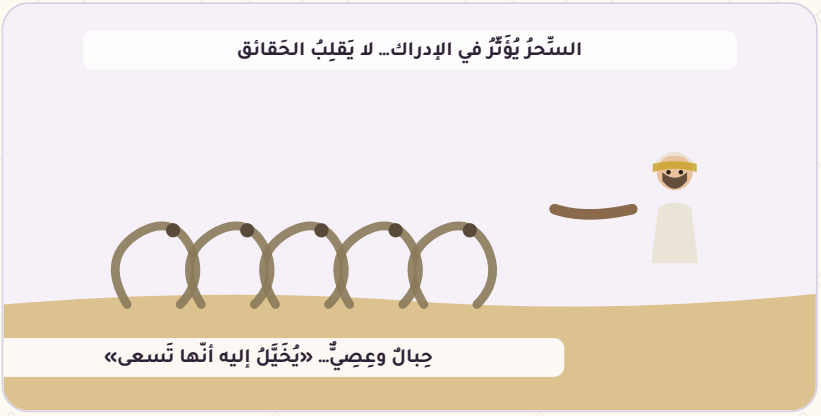

القرآنُ يَصِفُ السِّحرَ بأنّه تَأثيرٌ في العَين، لا خَلقٌ جَديد

بكلامٍ بسيط

جاء سَحَرةُ فِرعَونَ بحِبالٍ وعِصِيّ، فبَدَت للنّاسِ وكأنّها **حَيّاتٌ تَسعى**. ولاحِظ اللّفظَ الدَّقيق: «**يُخَيَّلُ إليه**» – أي أنّها لم تَتَحَوَّل، وإنّما تَأثَّرَ إدراكُ النّاظِرِ بها.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان السِّحرُ في ذُروةِ مَجدِه في مِصرَ القَديمة، وله كَهَنةٌ ومَدارِسُ ونُصوصٌ مُدَوَّنة. وكان يُعتَقَدُ أنّ السّاحِرَ **يَقلِبُ الأعيانَ حَقيقةً**: يُحَوِّلُ العَصا حَيّةً والإنسانَ حَيَواناً. وهذا الاعتِقادُ كان سائداً في كلِّ حَضاراتِ الأرضِ تَقريباً.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

القرآنُ رَفَضَ هذا التَّصَوُّرَ رَفضاً صَريحاً وحَصَرَ أثَرَ السِّحرِ في ثَلاثةِ مَجالات: **التَّأثيرُ في الإدراكِ والحَواسّ** («يُخَيَّلُ إليه»، «سَحَروا أعيُنَ النّاس»)، و**التَّأثيرُ في النُّفوسِ والعَلاقات** («يُفَرِّقونَ به بين المَرءِ وزَوجِه»)، و**التَّأثيرُ في البَدَنِ بالأذى**. أمّا **قَلبُ حَقيقةِ الأشياء** فمَنفِيٌّ تَماماً. وهذا مُتَّسِقٌ مع ما يُقَرِّرُه عِلمُ النَّفسِ اليومَ عن الإيحاءِ والتَّنويمِ وخِداعِ الإدراكِ الجَماعيّ.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

التَّفريقُ بين «**التَّأثيرِ في الإدراك**» و«**قَلبِ الحَقيقة**» تَفريقٌ بالِغُ الدِّقّة، ولم تَكُن ثَقافةُ ذلك الزَّمانِ تَعرِفُه. وهو الذي يُميِّزُ المَوقِفَ الإسلاميَّ من السِّحرِ عن كلِّ ما حَولَه: فلا هو إنكارٌ كامِلٌ يُكَذِّبُ المُشاهَدة، ولا هو تَسليمٌ بأنّ السّاحِرَ يَخلُقُ ويَقلِب. ولاحِظ الفارِقَ في مُعجِزةِ موسى نَفسِها: عَصا موسى **تَلَقَّفَت** ما صَنَعوا – أي ابتَلَعَته ابتِلاعاً حَقيقيّاً. فالفَرقُ بين المُعجِزةِ والسِّحرِ في القرآن: **الأولى تَغييرٌ في الواقِع، والثّاني تَغييرٌ في العَين**. ولهذا آمَنَ السَّحَرةُ أنفُسُهم أوَّلَ النّاس – لأنّهم أعلَمُ بحُدودِ صِناعَتِهم.

الشَّيطانُ الذي جاء أبا هُرَيرةَ ثلاثَ لَيال

فَقَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا ... إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ... فَقَالَ ﷺ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ

رواه البُخاريّ – صحيح

حادِثةٌ مُتَكَرِّرةٌ ثَلاثَ لَيالٍ في مَخزَنِ صَدَقةِ رَمَضان

بكلامٍ بسيط

وَكَّلَ النَّبيُّ ﷺ أبا هُرَيرةَ بحِفظِ طَعامِ الصَّدَقة. فجاءه شَخصٌ لَيلاً يَسرِقُ منه، فأمسَكَه ثَلاثَ لَيالٍ مُتَتالِيات. وفي الأخيرةِ عَلَّمَه **آيةَ الكُرسيّ** وقال: لن يَقرَبَك شَيطانٌ إذا قَرَأتَها. ثمّ أخبَرَه النَّبيُّ ﷺ أنّه كان شَيطاناً.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الحِراسةُ اللَّيليّةُ لمَخزَنِ طَعام أمرٌ عاديّ. وأبو هُرَيرةَ ظَنَّه إنساناً مِسكيناً في أوّلِ مَرّة، فرَحِمَه وأطلَقَه. ثمّ تَكَرَّرَ ذلك ثَلاثاً – وفي كلِّ مَرّةٍ كان يُخبِرُ النَّبيَّ ﷺ في الصَّباح، فيَقولُ له: «**أما إنّه سيَعودُ**» – فيَعود.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الحادِثةُ في **صحيحِ البُخاريّ** بطولِها، في «بابِ فَضلِ آيةِ الكُرسيّ». وفيها ثَلاثُ إشاراتٍ مُهِمّة: الأولى أنّ النَّبيَّ ﷺ كان **يُخبِرُ أبا هُرَيرةَ في كلِّ صَباحٍ بأنّه سيَعودُ لَيلاً** – فيَعود. الثّانيةُ أنّ الحُكمَ النِّهائيَّ جاء بعِبارةٍ في غايةِ الدِّقّة: «**صَدَقَكَ وهو كَذوب**» – أي أنّ المَعلومةَ صَحيحةٌ وإن كان القائلُ كاذِباً بطَبعِه. الثّالثةُ أنّ النَّتيجةَ العَمَليّةَ كانت **سِلاحاً لكلِّ مُسلِم**: آيةُ الكُرسيِّ عندَ النَّوم.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

أهَمُّ ما في هذه الحادِثةِ هو **المَنهَجُ** الذي عَلَّمَه النَّبيُّ ﷺ في التَّعامُلِ مع هذا العالَم. فهو لم يُنكِر الواقِعةَ ولم يُهَوِّلها، بل **حَكَمَ على المَعلومةِ بذاتِها لا بقائلِها**. وعِبارةُ «صَدَقَكَ وهو كَذوب» قاعِدةٌ كامِلةٌ في نَقدِ الأخبار. ثمّ لاحِظ أنّ النَّتيجةَ كانت **آيةً من القرآنِ يَحفَظُها كلُّ أحد**، لا طَقساً ولا تَميمةً ولا واسِطةً بَشَريّة. فالحادِثةُ كلُّها تَنتَهي إلى تَمكينِ الإنسانِ العادِيِّ من حِمايةِ نَفسِه بنَفسِه – وهذا هو الخَيطُ الجامِعُ لكلِّ ما في هذا الباب.

لِكُلِّ إنسانٍ قَرين

مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ. قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ

رواه مُسلِم – صحيح

تَفسيرٌ للصِّراعِ الدّاخِليّ يَضَعُ الخَواطِرَ السَّيِّئَةَ في مَوضِعِها

بكلامٍ بسيط

مع كلِّ إنسانٍ **قَرينٌ من الجِنّ** يُوَسوِسُ له بالسُّوء. وهذا يُفَسِّرُ الخَواطِرَ السَّيِّئَةَ التي تَأتيك فَجأةً وأنت لا تُريدُها ولا تَرضاها.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان النّاسُ إمّا يَنسِبونَ كلَّ خاطِرٍ إلى أنفُسِهم فيَغرَقونَ في لَومِ الذّات، وإمّا يَنسِبونَ أفعالَهم كلَّها إلى قُوًى خارِجيّةٍ فيُسقِطونَ المَسؤوليّةَ عن أنفُسِهم. ولم يَكُن هناك تَفسيرٌ مُنضَبِطٌ يُفَرِّقُ بين الخاطِرِ والفِعل.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

النَّبيُّ ﷺ قَرَّرَ هذه الحَقيقةَ ثمّ **ضَبَطَها بقُيودٍ في غايةِ الأهَمِّيّة**: أنّ القَرينَ **يُوَسوِسُ ولا يُجبِر**؛ وأنّ الإنسانَ **لا يُؤاخَذُ بالخاطِرِ ما لم يَعمَل** («إنّ اللهَ تَجاوَزَ لأُمّتي عمّا حَدَّثَت به أنفُسَها ما لم تَعمَل أو تَتَكَلَّم»)؛ وأنّ شِدّةَ الوَسوَسةِ **عَلامةُ إيمانٍ لا عَلامةُ فَساد** – فلمّا شَكا الصَّحابةُ ما يَجِدونَه من الوَسوَسةِ قال: «**ذاكَ صَريحُ الإيمان**»، أي أنّ استِعظامَكم لها دَليلٌ على سَلامةِ قُلوبِكم.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

انظُر إلى الأثَرِ النَّفسيِّ لهذا التَّصَوُّر، وقارِنه بحالِ كَثيرٍ من النّاسِ اليوم. فالذي يَأتيه خاطِرٌ بَشِعٌ فيَظُنُّه صادِراً من أعماقِه الحَقيقيّةِ يُصابُ بالرُّعبِ من نَفسِه، وهو ما يَقَعُ في **الوَسواسِ القَهريِّ ذي الطّابِعِ الدِّينيّ** بالذّات. أمّا هذا التَّفسيرُ فيَفصِلُ بين **ما يُلقى عليك** و**ما تَختارُه أنت**، ويَحكُمُ بأنّ الأوّلَ لا تُحاسَبُ عليه، بل كَراهِيَتُك له دَليلُ صَلاحِك. ثمّ يُعطي العِلاجَ العَمَليّ: الاستِعاذةُ والانتِهاء، وعَدَمُ الاسترسالِ في المُجادَلة. وهذا قَريبٌ جِدّاً ممّا تُوصي به العِلاجاتُ النَّفسيّةُ الحَديثةُ في التَّعامُلِ مع الأفكارِ التَّطَفُّليّة: لا تُقاوِمها بالجِدال، ولا تُعَرِّف نَفسَك بها.

١٣٠

يَجري مِن ابنِ آدَمَ مَجرى الدَّم

إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ

رواه البُخاريُّ ومُسلِم – مُتَّفَقٌ عليه

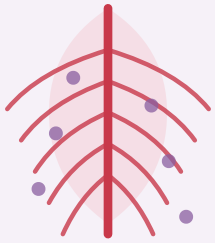

لا مَوضِعَ في الجَسَدِ بَعيدٌ عن مَبلَغِه

«مَجرى الدَّم» – أشمَلُ تَشبيهٍ مُمكِن

الدَّمُ يَبلُغُ كلَّ خَليّةٍ في الجَسَدِ بلا استِثناء

بكلامٍ بسيط

وَصَفَ النَّبيُّ ﷺ نُفوذَ الشَّيطانِ في الإنسانِ بأنّه **كجَريانِ الدَّم** – أي يَبلُغُ كلَّ مَوضِعٍ منك، لا يَخلو منه عُضو.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

لم تَكُن **الدَّورةُ الدَّمَويّة** مَعروفةً. كان الظَّنُّ السّائدُ – وهو مَذهَبُ جالينوس الذي حَكَمَ الطِّبَّ ألفاً وخَمسَمِئةِ سنة – أنّ الدَّمَ يُصنَعُ في الكَبِدِ ويُستَهلَكُ في الأطراف، لا أنّه **يَدورُ دَورةً كامِلةً** فيَبلُغُ كلَّ جُزءٍ من الجَسَدِ ثمّ يَعود. ولم يُكتَشَف ذلك إلّا سنة ١٦٢٨ على يدِ وِليَم هارفي، وأُكمِلَ باكتِشافِ الشَّعيراتِ الدَّقيقةِ سنة ١٦٦١.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

جِهازُ الدَّورانِ يَصِلُ إلى **كلِّ خَليّةٍ في الجَسَد** عبر شَبَكةٍ من الشَّعيراتِ الدَّمَويّةِ يَبلُغُ طولُها مَجموعةً نَحوَ مئةِ ألفِ كيلومتر. ولا يُوجَدُ نَسيجٌ حَيٌّ في البَدَنِ لا يَصِلُه الدَّم. فاختِيارُ «مَجرى الدَّم» تَشبيهاً للنُّفوذِ التّامِّ الشّامِل هو **أدَقُّ تَشبيهٍ مُمكِنٍ في الجَسَدِ كلّه** – ولا يُدرَكُ وَجهُ دِقَّتِه إلّا بعدَ معرفةِ الدَّورةِ الدَّمَويّة.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

التَّشبيهُ لم يَكُن لِيُختارَ اعتِباطاً. فلو أُريدَ مُجَرَّدُ التَّعبيرِ عن القُربِ لقيلَ «كالظِّلّ» أو «كالنَّفَس» – وكِلاهُما أقرَبُ إلى تَصَوُّرِ ذلك الزَّمان. لكنّ المُرادَ كان **الشُّمولَ والنُّفوذَ إلى كلِّ جُزء**، وهذه خاصّيّةٌ لا تَتَحَقَّقُ في الجَسَدِ إلّا في الدَّمِ وحدَه – وهي خاصّيّةٌ لم تُعرَف إلّا بعدَ عَشرةِ قُرون. ولاحِظ الأثَرَ العَمَليَّ الذي بَناه النَّبيُّ ﷺ على هذا: قالها وهو يُخرِجُ صَفِيّةَ من المَسجِدِ لَيلاً، فمَرَّ رَجُلانِ فأسرَعا، فأوقَفَهما وقال: «على رِسلِكما، إنّها صَفِيّةُ بِنتُ حُيَيّ». أي أنّه جَعَلَ القاعِدةَ سَبَباً لـ**دَفعِ الظَّنِّ السَّيِّئِ عن نَفسِه ابتِداءً** – دَرسٌ في شَفافيّةِ المَوقِفِ لا في التَّخويف.

١٣١

العَينُ حَقّ... وحادِثةٌ وَقَعَت بمَشهَدٍ من الصَّحابة

> الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا
>
> رواه مُسلِم – صحيح

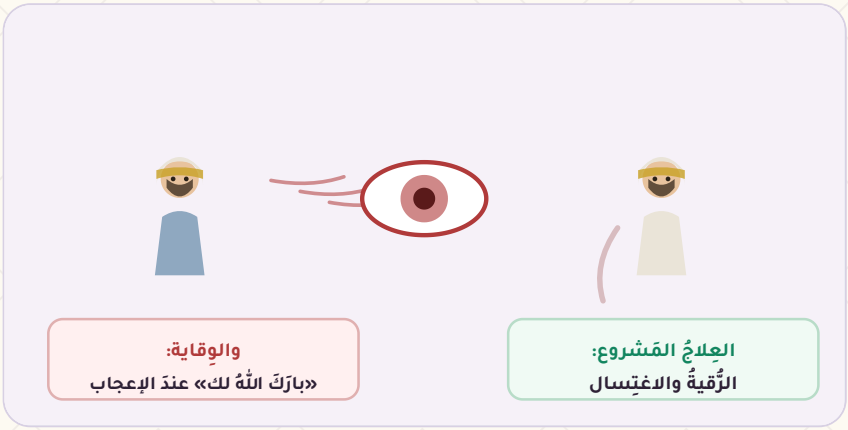

حادِثةُ سَهلِ بنِ حُنَيفٍ وعامِرِ بنِ رَبيعةَ – رواها مالِكٌ وأحمدُ والنَّسائيّ

بكلامٍ بسيط

«العَينُ حَقّ» – أي أنّ نَظرةَ الإعجابِ أو الحَسَدِ قد تُصيبُ بالأذى فِعلاً. ولم يُترَك الأمرُ بلا عِلاج: **الرُّقيةُ والاغتِسال**، والوِقايةُ بأن يَدعُوَ المُعجَبُ بالبَرَكةِ حين يُعجِبُه شَيء.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كانت العَينُ مَخوفةً عند العَرَبِ وغيرِهم، ويَتَّقونَها بالتَّمائمِ والخَرَزِ والتَّعاويذِ وتَعليقِ العِظامِ وعُيونِ الحَيَوانات. أي أنّهم كانوا يُواجِهونَ اعتِقاداً بخُرافةٍ أُخرى، ويَدفَعونَ لذلك ثَمَناً.

ماذا يقولُ العِلمُ اليوم؟

الحادِثةُ المَشهورةُ رَواها مالِكٌ في المُوَطَّأ وأحمدُ والنَّسائيّ: اغتَسَلَ **سَهلُ بنُ حُنَيفٍ** فرآه **عامِرُ بنُ رَبيعة** فقال: «ما رأيتُ كاليَومِ ولا جِلدَ مُخَبَّأة» – فلُبِطَ سَهلٌ (سَقَطَ مَريضاً) في الحال. فأُخبِرَ النَّبيُّ ﷺ فقال: «**عَلامَ يَقتُلُ أحَدُكم أخاه؟ ألّا بَرَّكت**»، ثمّ أمَرَ عامِراً أن يَتَوَضَّأ ويُصَبَّ الماءُ على سَهل – فقامَ سَهلٌ سَليماً. وقد وَقَعَ ذلك **بمَشهَدٍ من جَماعةٍ من الصَّحابةِ في سَفَر**.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

ثَلاثةُ أشياءَ في هذه الحادِثةِ تَستَحِقُّ الوَقْف. الأوّل: أنّ **المُصيبَ لم يَكُن حاسِداً كارِهاً**، بل مُعجَباً مُحِبّاً – وهذا يَنقُضُ التَّصَوُّرَ الشّائعَ بأنّ العَينَ لا تَكونُ إلّا من عَدُوّ. الثّاني: أنّ العِلاجَ كان **مِن جِهةِ المُصيبِ لا المُصاب** – يَغتَسِلُ العائنُ ويُصَبُّ الماءُ على المَعين. وهذا عَكسُ كلِّ الطُّقوسِ التي كانت تَستَعمِلُ التَّمائمَ على المُصاب. الثّالث – وهو الأهَمّ –: أنّ النَّبيَّ ﷺ **حَرَّمَ التَّمائمَ تَحريماً قاطِعاً** («مَن عَلَّقَ تَميمةً فقد أشرَك»)، وأعطى بَدَلاً عَمَليّاً بسيطاً مَجّانيّاً. فأثبَتَ الظّاهِرةَ وأبطَلَ الخُرافةَ المُرتَبِطةَ بها في آنٍ واحد – وهو النَّمَطُ نفسُه في هذا البابِ كلِّه.

١٣٢ سُلَيمانُ والجِنُّ المُسَخَّرون

وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ

سورة الأنبياء – الآية ٨٢

أعمالٌ مَحدودةٌ مُعَيَّنة: الغَوصُ واستِخراجُ اللآلئ والبِناء

بكلامٍ بسيط

سَخَّرَ اللّهُ لسُلَيمانَ عليه السّلامُ طائفةً من الجِنِّ يَعمَلونَ له: **يَغوصونَ في البَحرِ ويَبنون**. وهذه مُعجِزةٌ خاصّةٌ به وَحدَه، دَعا رَبَّه ألّا تَكونَ لأحدٍ من بَعدِه.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كانت الأساطيرُ المُنتَشِرةُ في المِنطَقةِ تَنسِبُ إلى سُلَيمانَ سِحراً وتَحَكُّماً بالأرواحِ بكَلِماتٍ وطَلاسِمَ يَتَوارَثُها السَّحَرة. وتَداوَلَ النّاسُ كُتُباً مَنسوبةً إليه في هذا الباب – وهي مَوضوعةٌ مَكذوبة.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

القرآنُ ضَبَطَ المَسألةَ بقُيودٍ صارِمة: أوّلاً أنّ التَّسخيرَ كان **بإذنِ اللّهِ وحدَه** لا بعِلمٍ سِحريّ: «ومِن الجِنِّ مَن يَعمَلُ بين يَدَيه **بإذنِ رَبِّه**». ثانياً أنّ الأعمالَ كانت **مادّيّةً مَحدودة**: غَوصٌ وبِناءٌ ونَقلٌ – لا عِلمَ غَيبٍ ولا تَصَرُّفَ في الأقدار. ثالثاً – وهو الأصرَح – أنّ القرآنَ نَصَّ على **جَهلِ الجِنِّ بالغَيب** في القِصّةِ نَفسِها: فقد ظَلُّوا يَعمَلونَ بعدَ مَوتِ سُلَيمانَ وهو مُتَّكِئٌ على عَصاه ولم يَعلَموا أنّه ماتَ، «فلمّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أن لو كانوا يَعلَمونَ الغَيبَ ما لَبِثوا في العَذابِ المُهين».

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

انظُر إلى المُفارَقةِ العَجيبة: القِصّةُ التي يُمكِنُ أن تَكونَ أعظَمَ دَعايةٍ لتَسخيرِ الجِنّ، جُعِلَت هي نَفسُها **البُرهانَ القاطِعَ على عَجزِهم عن عِلمِ الغَيب**. فالجِنُّ الذين يَغوصونَ ويَبنون لم يَعلَموا بمَوتِ الرَّجُلِ الواقِفِ أمامَهم! ولو كان النَّصُّ بَشَرِيّاً في بيئةٍ تُعَظِّمُ الكِهانةَ لَما هَدَمَ أُسطورتَه بيَدِه في الآيةِ نَفسِها. ثمّ إنّ سُلَيمانَ دَعا: «**وهَب لي مُلكاً لا يَنبَغي لأحدٍ من بَعدي**» – فأُغلِقَ البابُ نِهائيّاً أمامَ كلِّ من يَدَّعي بعدَه تَسخيرَ الجِنّ. فالقِصّةُ التي يَستَشهِدُ بها السَّحَرةُ هي في الحَقيقةِ أقوى ما يَنقُضُ دَعواهم.

لماذا تَوَقَّفَت الكِهانةُ بعدَ البِعثة؟

وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا

سورة الجِنّ – الآيتان ٨-٩

حَدَثٌ اجتِماعيٌّ مَلحوظ: انهِيارُ الكِهانةِ مع بِدايةِ البِعثة

بكلامٍ بسيط

كان الكُهّانُ يُخبِرونَ بأشياءَ تَقَعُ أحياناً، لأنّ الشَّياطينَ كانت تَسمَعُ شَيئاً من خَبَرِ السَّماءِ فتُلقيه إليهم. فلمّا بُعِثَ النَّبيُّ ﷺ **مُنِعَت من ذلك**، فانقَطَعَ مَصدَرُهم وبَطَلَت صِناعَتُهم.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كانت الكِهانةُ مُؤَسَّسةً اجتِماعيّةً كامِلةً في الجَزيرة: للكاهِنِ مَكانةٌ ومالٌ وسُلطان، ويُحتَكَمُ إليه في الخُصوماتِ ويُسألُ عن المَغيَّبات. ومن أشهَرِهم سَطيحٌ وشِقٌّ وسَواد. وكان صِدقُهم أحياناً هو ما يَحفَظُ لهم مَكانَتَهم.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

تَذكُرُ المَصادِرُ التّاريخيّةُ والسِّيَرُ أنّ الكُهّانَ أنفُسَهم **شَكَوا انقِطاعَ الخَبَرِ عنهم** عندَ بِعثةِ النَّبيِّ ﷺ، وأنّ كَثيراً منهم أخبَرَ قَومَه بذلك – بل كان من أسبابِ إسلامِ بعضِهم. والمُلاحَظُ تاريخيّاً أنّ **الكِهانةَ بمَعناها القَديمِ اندَثَرَت في الجَزيرةِ اندِثاراً شِبهَ تامّ** بعدَ الإسلام، بعدَ أن كانت رُكناً من أركانِ الحَياةِ الاجتِماعيّة. وثَبَتَ في الصَّحيحَينِ بَيانُ الآليّة: «فيُلقيها إلى الذي تَحتَه… فيَكذِبُ معها مئةَ كَذبة».

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

النَّبيُّ ﷺ لم يَكتَفِ بالمَنعِ، بل **فَسَّرَ سِرَّ الظّاهِرةِ تَفسيراً يُبطِلُها من داخِلِها**. فقد سُئِلَ عن الكُهّانِ فقال: «ليسوا بشَيء». قالوا: إنّهم يُحَدِّثونا أحياناً بالشَّيءِ يَكونُ حَقّاً. فقال ﷺ: «**تِلكَ الكَلِمةُ من الحَقِّ يَخطَفُها الجِنّيُّ فيَقُرُّها في أُذُنِ وَلِيِّه، فيَخلِطونَ معها مئةَ كَذبة**». وهذا تَفسيرٌ بالغُ الدِّقّةِ لِما يُسَمّى اليومَ في عِلمِ النَّفسِ **«التَّحَيُّزَ التَّأكيديّ»**: أنّ النّاسَ يَحفَظونَ الإصابةَ الواحدةَ ويَنسَونَ مئةَ إخفاقة. فأبطَلَ الكِهانةَ لا بالإنكارِ المُجَرَّد، بل بكَشفِ الآليّةِ الإحصائيّةِ التي تَقومُ عليها – وهي بعَينِها الحُجّةُ التي يَستَعمِلُها العِلمُ اليومَ ضِدَّ التَّنجيمِ وقِراءةِ الطّالِع.

١٣٤

يا سارِيةُ... الجَبَل

نَادَى عُمَرُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ! ... فَقَالَ الرَّسُولُ: سَمِعْنَا صَوْتَ عُمَرَ فَأَلْجَأْنَا ظُهُورَنَا إِلَى الْجَبَلِ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا

رواه البَيهقيُّ وابنُ عساكرَ وغيرُهما – حَسَّنَه جَماعة

كَرامةٌ رواها التّابِعونَ وتَناقَلَها أهلُ العِلمِ في كُتُبِهم

بكلامٍ بسيط

بينما كان عُمَرُ بنُ الخَطّابِ يَخطُبُ الجُمُعةَ في المدينة، صاحَ فَجأةً: **«يا سارِيةُ... الجَبَلَ!»**. وكان سارِيةُ قائدَ جَيشٍ على بُعدِ مِئاتِ الأميال. ولمّا رَجَعَ الجَيشُ قالوا: سَمِعنا صَوتَ عُمَرَ فلَجَأنا إلى الجَبَلِ فانتَصَرنا.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

لا وَسيلةَ اتِّصالٍ بين المدينةِ وأرضِ المَعركةِ إلّا الرُّسُلُ على الإبِل، تَستَغرِقُ أسابيع. والخُطبةُ تَجري أمامَ أهلِ المدينةِ كلِّهم. والنّاسُ سَمِعوا النِّداءَ واستَغرَبوه ولم يَفهَموا مَعناه في حينِه.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الخَبَرُ رواه البَيهقيُّ في «دَلائلِ النُّبُوّة»، وابنُ عساكرَ في «تاريخِ دِمَشق»، وأبو نُعَيمٍ وابنُ الأثيرِ وغيرُهم، من عِدّةِ طُرُق. وقد حَسَّنَه جَماعةٌ من أهلِ العِلمِ بمَجموعِ طُرُقِه، وذَكَرَه ابنُ حَجَرٍ وابنُ كَثيرٍ وابنُ تيميّة. وهو من أشهَرِ **كَراماتِ الصَّحابة** المَنقولة. ونَظائرُه ثابتة: **العَلاءُ بنُ الحَضرَميِّ** وجَيشُه عَبَروا الخَليجَ إلى دارِينَ على الماء؛ و**خالِدُ بنُ الوَليدِ** شَرِبَ السُّمَّ فلم يَضُرّه؛ و**سَعدُ بنُ أبي وَقّاصٍ** كان مُستَجابَ الدَّعوةِ بدَعوةِ النَّبيِّ ﷺ له.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الفَرقُ بين **المُعجِزةِ والكَرامة** أصلٌ مُهِمٌّ في هذا الباب. فالمُعجِزةُ تَقَعُ للنَّبيِّ تَحَدِّياً وإثباتاً للنُّبُوّة، والكَرامةُ تَقَعُ للصّالِحِ **بلا تَحَدٍّ ولا دَعوى**. ولهذا فإنّ الكَرامةَ لا تُطلَبُ ولا يُتَباهى بها، ولا يَجوزُ لصاحِبِها أن يَبنيَ عليها دَعوى. ومَن طَلَبَها وتَكَسَّبَ بها فهو أبعَدُ النّاسِ عنها. وهذا الضّابِطُ هو ما يَفصِلُ الإسلامَ عن كلِّ ما يُروَّجُ اليومَ باسمِ «الطّاقةِ الرُّوحيّة» و«الفَتحِ» و«الكَشفِ» ممّا يُباعُ ويُشترى. وقد سُئِلَ عُمَرُ عن ندائه فأعرَضَ ولم يُفَسِّر – وهذا هو مَوقِفُ أهلِ الكَراماتِ منها.

١٣٥

لَيسَ كلُّ مَرَضٍ مَسّاً ـــ التَّفريقُ الواجِب

تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ: الْهَرَمُ

رواه أبو داود والتِّرمِذيُّ – صحيح

ثمّ الرُّقيةُ الشَّرعيّة

- قُرآنٌ يُقرَأُ بلا أُجرةٍ مُبالَغة
- بلا طُقوسٍ ولا بَخُور
- بلا سُؤالٍ عن الاسمِ والأُمّ
- بلا خَلوةٍ بامرأة
- والمَريضُ يَرقي نَفسَه

أوّلاً: اذهَب للطَّبيب

- الصَّرَعُ العُضويّ
- نَقصُ فيتامينات
- اضطِرابُ الغُدّة
- أمراضٌ نَفسيّةٌ مَعروفة
- قِلّةُ نَومٍ وإرهاق

مَن خالَفَ هذه الضَّوابِطَ فهو مُشعوِذٌ لا راقٍ

التَّرتيبُ الصَّحيح: الطِّبُّ أوّلاً، ثمّ الرُّقيةُ بضَوابِطِها

بكلامٍ بسيط

الإسلامُ أثبَتَ المَسَّ والسِّحر، **لكنّه لم يَجعَل كلَّ مَرَضٍ منهما**. بل أمَرَ بالتَّداوي أوّلاً، وجَعَلَ الرُّقيةَ قُرآناً يَقرَؤُه المَريضُ على نَفسِه بلا واسِطةٍ ولا أُجرةٍ ولا طُقوس.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كانت الأُمَمُ قبلَ الإسلامِ تُرجِعُ أكثَرَ الأمراضِ إلى الأرواحِ والشَّياطين، فيُعالَجُ المَريضُ بالطُّقوسِ والذَّبحِ للجِنِّ والتَّعاويذ. وقد استَمَرَّ هذا في أوروبّا قُروناً، حتّى أُحرِقَت نِساءٌ بتُهمةِ السِّحرِ في القَرنِ السّابِعَ عشر. وكان المَرضى النَّفسيّونَ يُعامَلونَ مُعامَلةَ المَمسوسين.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

النَّبيُّ ﷺ أمَرَ بالتَّداوي أمراً صَريحاً، وقال: «**لكلِّ داءٍ دَواء**»، واستَعمَلَ العَسَلَ والحِجامةَ والحَبّةَ السَّوداء، ووَصَفَ لأصحابِه أدويةً بعَينِها. وقال: «إنّما الشِّفاءُ في ثَلاث: شَربةِ عَسَل، وشَرطةِ مِحجَم، وكَيَّةِ نار». وأرسَلَ إلى سَعدِ بنِ أبي وَقّاصٍ **طَبيباً** يُعالِجُه. أمّا الرُّقيةُ فشُروطُها عند العُلَماءِ ثَلاثة: أن تَكونَ بكَلامِ اللهِ أو أسمائه، وباللِّسانِ العَرَبيِّ المَفهوم، وأن يُعتَقَدَ أنّها سَبَبٌ لا مُؤَثِّرٌ بذاتِه.

لماذا هذا معجزةٌ قاطعة؟

هذا الضّابِطُ هو ما يَحمي النّاسَ من أكبَرِ ضَرَرَين. الأوّل: **تَركُ العِلاجِ الطِّبّيِّ لمَرَضٍ عُضويّ** ظَنّاً أنّه مَسّ – وقد قَتَلَ هذا كَثيرين. الثّاني: **الوُقوعُ في يَدِ المُشعوِذين** الذين يَستَغِلُّونَ الخَوفَ ويَبتَزّونَ الأموالَ والأعراض. ولهذا شَدَّدَ النَّبيُّ ﷺ في هذا البابِ تَشديداً بالِغاً: «**مَن أتى عَرّافاً فسَألَه عن شَيءٍ لم تُقبَل له صَلاةٌ أربَعينَ لَيلة**»، و«**مَن أتى كاهِناً فصَدَّقَه بما يَقولُ فقد كَفَرَ بما أُنزِلَ على محمّد**». فالبابُ الذي فُتِحَ لإثباتِ الحَقيقةِ **أُغلِقَ بإحكامٍ أمامَ الاستِغلال**. وأيُّ راقٍ يَسألُك عن اسمِك واسمِ أُمِّك، أو يَطلُبُ ذَبيحةً أو أثَراً أو مالاً كَثيراً – فهو المُشعوِذُ الذي حَذَّرَ منه النَّبيُّ ﷺ بعَينِه.

١٣٦ كلُّ أُمّةٍ عَرَفَت هذا العالَم

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ

سورة الأنعام – الآية ١٢٨

الاعتِقادُ بعالَمٍ غيرِ مَرئيٍّ عاقِلٍ مَوجودٌ في كلِّ حَضارةٍ عُرِفَت

بكلامٍ بسيط

كلُّ أُمّةٍ في التّاريخِ – بابِلُ ومِصرُ واليونانُ والهِندُ والصّينُ وشُعوبُ إفريقيا وأمريكا – عَرَفَت وُجودَ **مَخلوقاتٍ عاقِلةٍ غيرِ مَرئيّة**، وسَمَّتها بأسماءٍ مُختَلِفة.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كانت هذه الشُّعوبُ مُتَباعِدةً لا يَعرِفُ بعضُها بعضاً، ولا لُغةَ جامِعةَ بينها ولا تِجارة. ومع ذلك تَشابَهَت تَصَوُّراتُها إلى حَدٍّ لافِت: كائناتٌ عاقِلة، تَسكُنُ الخَرِبَ والفَيافي، تُؤذي وتَنفَع، وتُسترضى بالقَرابين، ومنها الصّالِحُ والطّالِح.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

عُلَماءُ الأنثروبولوجيا يُسَمُّونَ هذا **«عُموميّةً ثَقافيّة»** (Cultural Universal): ظاهِرةٌ تَظهَرُ في كلِّ المُجتَمَعاتِ المَعروفةِ بلا استِثناء. والاعتِقادُ بكائناتٍ رُوحيّةٍ عاقِلةٍ واحِدٌ من أوضَحِ الأمثِلةِ عليها، وقد وَثَّقَه جورج مردوك في قائمتِه الشَّهيرةِ للعُموميّاتِ الثَّقافيّة. وأسماؤها: «شيدو» في بابِل، و«الأخو» في مِصر، و«دايمون» عند اليونان، و«بهوت» في الهِند، و«الجِنّ» عند العَرَب.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

هذا لا يُقدَّمُ هنا بَرهاناً قاطِعاً بذاتِه – فالاتِّفاقُ لا يُثبِتُ الصِّحّةَ وَحدَه. لكنّه **يَنقُضُ التَّفسيرَ الذي يُقال**: أنّ الجِنَّ خُرافةٌ عَرَبيّةٌ نَقَلَها القرآنُ عن بيئتِه. فالظّاهِرةُ أقدَمُ من العَرَبِ بآلافِ السِّنينَ وأوسَعُ منهم بقارّاتٍ كامِلة. والأدَقُّ من ذلك أنّ القرآنَ **لم يَنقُلِ التَّصَوُّرَ السّائدَ بل صَحَّحَه**: فقد كانت الأُمَمُ كلُّها تَعبُدُها وتُقَرِّبُ لها القَرابين، فحَرَّمَ ذلك وسَمّاه شِركاً؛ وكانت تَنسِبُ إليها عِلمَ الغَيب، فنَفاه عنها نَفياً قاطِعاً؛ وكانت تَجعَلُها أنصافَ آلِهةٍ، فجَعَلَها **خَلْقاً مُكَلَّفاً يُحاسَبُ كما نُحاسَب**. فالاتِّفاقُ في أصلِ الوُجود، والاختِلافُ الكامِلُ في الحُكم – وهذا شَأنُ المُصَحِّحِ لا النّاقِل.

١٣٧ خَمسٌ لا يَعلَمُها إلّا الله

إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ

سورة لُقمان – الآية ٣٤

حَدٌّ قاطِعٌ يَقطَعُ الطَّريقَ على كلِّ مُدَّعٍ

بكلامٍ بسيط

بعدَ كلِّ ما مَضى في هذا الباب، يُغلِقُ القرآنُ البابَ بإحكام: هناك **خَمسةُ أشياءَ لا يَعلَمُها إلّا اللهُ وَحدَه**. فمَن ادَّعى عِلمَ شَيءٍ منها – كائناً مَن كان – فهو كاذِب.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كانت الكِهانةُ والعِرافةُ والتَّنجيمُ وقِراءةُ الطّالِعِ صِناعاتٍ رائجةً في كلِّ حَضارة. والكاهِنُ يُسألُ عن الغَيبِ فيُجيب، ويُصيبُ أحياناً فتَزدادُ مَكانتُه. وكانت هذه أبوابَ رِزقٍ ونُفوذٍ عَظيمة.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

هذه الخَمسُ مَذكورةٌ في الآيةِ نَفسِها، وفَسَّرَها النَّبيُّ ﷺ في حَديثِ جِبريلَ بأنّها «**مَفاتيحُ الغَيبِ الخَمس**» (رواه البُخاريّ). ولاحِظ أنّها ليست أُموراً غامِضةً مُبهَمة، بل **قابِلةٌ للاختِبار**: لم يَستَطِع أحدٌ في التّاريخِ أن يُحَدِّدَ يومَ القِيامة، ولا أن يَجزِمَ بنُزولِ المَطَرِ يَقيناً (والأرصادُ تُعطي احتِمالاتٍ لا يَقيناً)، ولا أن يَعلَمَ ما في الرَّحِمِ **على التَّمامِ** من مَصيرٍ ورِزقٍ وعُمُرٍ وعَمَل – وأمّا مَعرِفةُ الجِنسِ بالسّونارِ فهي رُؤيةُ ما ظَهَرَ بعدَ تَكَوُّنِه، لا عِلمٌ بالغَيبِ قبلَه.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

هذا الحَدُّ هو **صِمامُ الأمانِ** في هذا البابِ كلِّه. فكلُّ ما مَضى – من إثباتِ الجِنِّ والسِّحرِ والعَينِ والكَرامات – كان يُمكِنُ أن يَفتَحَ باباً واسِعاً للدَّجَلِ والاستِغلال. فجاءت هذه الآيةُ لتَقطَعَ الطَّريقَ سَلَفاً على كلِّ مُدَّعٍ: **مَن أخبَرَكَ بغَدِك فهو كاذِب**، مَهما بَدا صادِقاً في غيرِه. والنَّبيُّ ﷺ نَفسُه أُمِرَ أن يُعلِنَ ذلك عن نَفسِه: «**قُل لا أملِكُ لنَفسي نَفعاً ولا ضَرّاً إلّا ما شاءَ اللّه، ولو كُنتُ أعلَمُ الغَيبَ لاستَكثَرتُ من الخَير**». فالذي جاء بهذا الدِّينِ **نَفى عن نَفسِه أوّلاً** ما كان يَدَّعيه كُهّانُ زَمانِه. ولا يَفعَلُ هذا مُدَّعٍ يَبتَغي سُلطاناً.

١٣٨

حِصنُك اليَوميّ... كَلِماتٌ لا تُكلِّفُ شيئاً

مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ

رواه مُسلِم – صحيح

١	٢	٣	٤
آيةُ الكُرسيّ	المُعَوِّذات	أذكارُ الصَّباح	بسم الله
عندَ النَّوم	ثَلاثاً صَباحاً	ومَساءً	عندَ الدُّخول
حافِظٌ حتّى الصَّباح	«ما تَعَوَّذَ بِمِثْلِهِنّ»	«لم يَضُرَّه شَيء»	«لا مَبيتَ لكم»

بلا واسِطةٍ ولا أُجرةٍ ولا طُقوس – وفي مُتَناوَلِ كلِّ أحد

أربعةُ أذكارٍ ثابِتةٍ في الصَّحيحِ تُغني عن كلِّ ما سِواها

بكلامٍ بسيط

لم يُتْرَك الإنسانُ أمامَ هذا العالَمِ بلا سِلاح. أعطاه النَّبيُّ ﷺ **أذكاراً قَصيرةً يَحفَظُها الطِّفل**، يَقولُها بنَفسِه بلا واسِطةٍ ولا مالٍ ولا طُقوس.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كانت الحِمايةُ من الجِنِّ والحَسَدِ تَقتَضي **وَسيطاً**: كاهِناً أو ساحِراً أو حامِلَ تَميمة. ويَدفَعُ النّاسُ لذلك المالَ والذَّبائح، ويَتَعَلَّقونَ بأشياءَ يُعَلِّقونَها على أبنائهم ودَوابِّهم. وهو نِظامٌ يُنتِجُ التَّبَعِيّةَ والخَوفَ ويُدِرُّ الرِّبحَ على أصحابِه.

ماذا يقولُ العِلمُ اليوم؟

الأذكارُ الثّابِتةُ في الصَّحيحِ كَثيرة، وأشهَرُها: **آيةُ الكُرسيّ** عندَ النَّوم – «لم يَزَل عليك من اللهِ حافِظ ولا يَقرَبُك شَيطان»؛ **المُعَوِّذَتانِ والإخلاص** ثَلاثاً صَباحاً ومَساءً – «تَكفيكَ من كلِّ شَيء»؛ **«أعوذُ بكَلِماتِ اللّهِ التّامّاتِ من شَرِّ ما خَلَق»** – «لم يَضُرَّه شَيءٌ تِلكَ اللَّيلة»؛ و**التَّسمِيةُ عندَ دُخولِ البَيتِ والطَّعام** – «لا مَبيتَ لكم ولا عَشاء»؛ وقِراءةُ **سورةِ البقرة** في البَيت – «لا يَدخُلُه شَيطان».

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

انظُر إلى البِنيةِ التي أقامَها هذا الدِّين، وقارِنها بما كان. لقد نَقَلَ الحِمايةَ من **احتِكارِ الوَسيطِ** إلى **مِلكِ كلِّ فَرد**. فلا يَحتاجُ المُسلِمُ إلى راقٍ ولا كاهِنٍ ولا تَميمةٍ ولا أُجرة – كَلِماتٌ يَحفَظُها ويَقولُها بنَفسِه، وهي في مُتَناوَلِ الفَقيرِ كما هي في مُتَناوَلِ الغَنيّ. وهذا يَهدِمُ اقتِصادَ الشَّعوَذةِ من أساسِه، ولا يُقيمُ مَكانَه سُلطةً بَديلة. ثمّ لاحِظ أنّ هذه الأذكارَ كلَّها **تَعويذٌ باللهِ لا بالجِنِّ ولا بالأسماء** – فهي تُعَلِّمُ التَّوحيدَ في ذاتِ الوَقتِ الذي تَحمي فيه. وهذا هو الفَرقُ الجَوهَريُّ بين الرُّقيةِ الشَّرعيّةِ وكلِّ ما سِواها.

الميزانُ في هذا الباب

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا

سورة الجنّ – الآية ٦

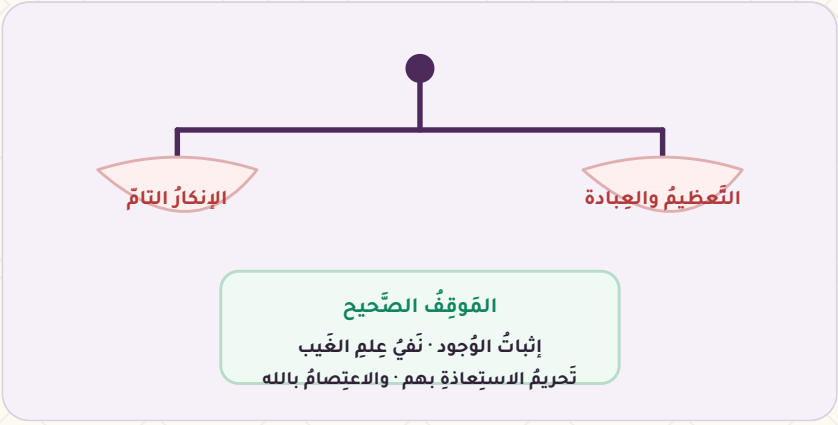

بين إنكارٍ يُكَذِّبُ الوَحي وتَعظيمٍ يُفضي إلى الشِّرك

بكلامٍ بسيط

عالَمُ الغَيبِ حَقيقةٌ، لكنّ التَّعامُلَ معه له **ميزانٌ دَقيق**: لا نُنكِرُه فنُكَذِّبَ ما أخبَرَ اللّهُ به، ولا نُعَظِّمُه فنَقَعَ في الشِّركِ والخَوفِ والدَّجَل.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

وَقَعَ النّاسُ قَديماً في طَرَفٍ واحد: التَّعظيمُ والاستِعاذةُ والقَرابينُ والكِهانة. ووَقَعَ كَثيرٌ من النّاسِ اليومَ في الطَّرَفِ الآخَر: إنكارُ كلِّ ما لا تَراه العَين. وكِلا الطَّرَفَينِ خَطأ.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

المَوقِفُ الذي قَرَّرَه القرآنُ والسُّنّةُ يَجمَعُ خَمسةَ أُصولٍ لا يَنفَكُّ بعضُها عن بَعض: **إثباتُ الوُجود** – فهو من الإيمانِ بالغَيب؛ **نَفيُ عِلمِ الغَيبِ عنهم** – فلا كِهانةَ ولا تَنجيم؛ **تَحريمُ الاستِعاذةِ بهم** وجَعلُها شِركاً؛ **الأمرُ بالتَّداوي** وتَقديمُ الطِّبِّ على الظُّنون؛ **الوِقايةُ بذِكرِ اللّهَ** بلا واسِطةٍ ولا أُجرةٍ ولا طُقوس.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

هذه المَنظومةُ في مَجموعِها هي الدَّليل. فلو كان هذا الدِّينُ من صُنعِ بَشَرٍ في تلك البيئة، لكان أسهَلَ ما عليه – وأنفَعَ له – أن يَركَبَ مَوجةَ الكِهانةِ السّائدة: يُثبِتُ الغَيبَ لنَفسِه، ويَجعَلُ لأتباعِه واسِطةً تُدِرُّ عليهم، ويَبني سُلطةً رُوحيّةً على خَوفِ النّاسِ من المَجهول. وهذا ما فَعَلَته المُؤَسَّساتُ الدِّينيّةُ في كَثيرٍ من الأُمَم. لكنّ الذي جاء بهذا الدِّينِ فَعَلَ العَكسَ تَماماً: **نَفى عِلمَ الغَيبِ عن نَفسِه**، و**أبطَلَ الكِهانةَ والتَّمائم**، و**وَضَعَ السِّلاحَ في يَدِ كلِّ فَردٍ مَجّاناً**، و**أمَرَ بالطِّبيبِ قبلَ الرّاقي**. مَن يَفعَلُ هذا لا يَبني سُلطاناً لنَفسِه – بل يُبَلِّغُ رِسالةً كُلِّفَ بها.